

الكورد في اقليم خراسان

كانت احدى مظاهر السياسة الصفوية تجاه الكورد ترحيل و تهجيرهم من منطقة الى اخرى او ابعاد قبائلهم الى المناطق البعيدة من ارضهم كوردستان، و تظهر هذه السياسة جلياً في عهد الشاه عباس الصفوي 1588-1629. في هذه الدراسة سوف نحاول ان نبحت في جذور الوجود الكوردي في خراسان و نلقي الضوء على اسباب تهجيرهم و مناطق انتشار قبائلهم و نوضح شيئاً عن اوضاعهم الاجتماعية و السياسية.

خراسان أي -مطلع الشمس- اقليم مترامي الاطراف يشمل مناطق واسعة في شمال شرق ايران، تحدها من الشمال جمهورية تركمانستان ومن الشرق دولة افغانستان، ويتميز هذا الاقليم بتنوعه العرقي والديني والمذهبي ويعتبر البوابة الشرقية لايران، حيث كانت خراسان طريقاً لجميع الغزوات والهجرات التي اتجهت اليها من الناحية الشرقية.

يشكل الكورد احدى العناصر السكانية الموجودة في اقليم خراسان، ولايعرف بالتحديد متى استوطن الكورد في هذا الاقليم ، وربما يرجع ذلك الى فترات موعلة في التاريخ. اذ يرجع اول ذكر لوجود الكورد في خراسان الى مؤلفات الرحالة والبلدانيين المسلمين، حيث اشار الاصطخري في القرن الرابع الهجري الى وجود قبائل كوردية مترحلة في خراسان وهم " اصحاب السوائم من الابل والغنم"⁽¹⁾، ويشير ابن حوقل الى بلدة (اندخد) في خراسان التي لها " سبع قرى للاكراد من ارباب الاغنام والابل "⁽²⁾ ، وقد اورد المورخ المسعودي اقليم خراسان من ضمن المواطن التي تسكنها القبائل الكوردية⁽³⁾ ، وفي القرن السابع الهجري اشار ياقوت الحموي الى وجود الكورد في ناحية قوهستان الواقعة بين هرات ونيسابور.⁽⁴⁾

يلاحظ ان هؤلاء المؤلفين لم يقدموا لنا معلومات كافية عن الكورد في خراسان، فلا نعرف اسماء قبائلهم ولانعرف شيئاً عن حياتهم الاجتماعية ودورهم السياسي سوى نزر يسير يقتصر على مقتطفات منتشرة في بطون الكتب. فقد اشار ابن الاثير الى وجود جماعات كثيرة من الكورد في جيش ابي علي بن المحتاج صاحب جيوش خراسان وقد استفاد منهم في حربه ضد ركن الدولة البويهبي 333هـ/944م.⁽¹⁾

يذكر جورج كرزون G.Curzon ان قبيلة كوردية باسم (كوردكه لي) تمكنت من تاسيس دولة في سجستان وخراسان عرفت باسم ملوك الكرت) وحكمت خلال 1245-1383.⁽²⁾ لكن هذه الرواية هي الوحيدة حول كوردية اصل هذه الدولة، حتى ان مؤلف كتاب شرفنامه لم يتطرق الى هذه الدولة

-
- (1) ينظر كتابه: المسالك والممالك، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (جمهورية العربية المتحدة: 1961)، ص 155 .
 - (2) ينظر كتابه: كتاب صورة الارض، دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1979)، ص 370 .
 - (3) التنبيه والاشراف، دار مكتبة الهلال، (بيروت: 1981)، ص 95 .
 - (4) معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د.ت)، ص 4، ص 103 .

(1) الكامل في التاريخ، دار الفكر، (بيروت: 1978)، ج 6، ص 311.
(2) نقل عن: تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ترجمة: محمد علي عوني، (القاهرة: 1945)، ص 292.

عندما اورد قائمة باسماء الدول والامارات الكوردية⁽³⁾، الا ان المورخ الكوردي الشيخ محمد مردوخ ذكر اسم (كوردكه لي) من ضمن القبائل الكوردية⁽⁴⁾، والصحيح ان هذه القبيلة غورية الاصل⁽⁵⁾. وخلال فترة متاخرة من العصور الوسطى ورد ذكر الكورد في خراسان في عدد من المصادر، فاستناداً الى المذكرات المنسوبة الى تيمور لنگ، كان هناك كورداً يعيشون في اقليم خراسان الذين " جاءوا من كوردستان الى مدينة قوجان"⁽⁶⁾. وهذه هي اولى الاشارات الصريحة الى هجرة الكورد من كوردستان الى خراسان. كما ورد ذكر تواجد الكورد في مذكرات الرحالة الاسباني كلاويخو-Klavikho، الذي وصل قوجان في الاول من كانون الثاني 1405، ووصفها بأنها "أولى مدن مقاطعة ميديا"، وأن سكانها من "الكورد والتاجيك وجميعهم على المذهب الشيعي"⁽⁷⁾.

مهما يكن الامر، فإن التواجد الحقيقي وعلى نطاق واسع للكورد في خراسان يعود الى العهد الصفوي، حيث بدأت المصادر التاريخية منذ بداية هذا العهد تشير الى التهجير والهجرة الطوعية للكورد الى خراسان. فقد شهدت خراسان خلال هذه الفترة تطورات عديدة، حيث تحول الى ساحة للمعارك بين الدولة الصفوية والقبائل الاوزبكية والتركمانية القاطنة في الحدود الشمالية والشرقية لاقليم خراسان. واصبح الاوزبك الخطر الرئيسي على الدولة الصفوية بعد العثمانيين. فخلال عهد الشاه اسماعيل الصفوي (1501-1524)، أكتسح الاوزبك بقيادة زعيمهم محمد شاه بخت خان المعروف بـ(شيبك خان) (1501-1510)، اقليم خراسان وسيطروا على معظم النواحي الشرقية لايران حتى مدينة كرمان، واستمرت حروبه لحين مقتله عام 1510⁽¹⁾. وخلال فترة حكم الشاه طهماسب (1524-1576) قاد الاوزبك بقيادة عبيدالله خان ستة حملات الى خراسان⁽²⁾.

على هذا الاساس اقتضت الضرورة تجنيد مسلحين من القبائل الكوردية وغير الكوردية للمشاركة في صد القوات الاوزبكية، وكان الشاهات الصفوية يريدون من خلال ارسال الكورد الى خراسان تحقيق هدفين في آن واحد، فقد اظهرت الوقائع ان الكورد ليسوا حليفاً يمكن الاعتماد عليهم في الحرب ضد الدولة العثمانية، وبرز ذلك بشكل واضح خلال معركة جالديران 1514 والحروب اللاحقة⁽³⁾، حيث لعب الكورد دوراً لا يستهان به في تحقيق النصر الحاسم للقوات العثمانية، وكانت الدولة الصفوية تعاني من كثرة التمردات التي يقوم بها الامراء وزعماء القبائل الكوردية، لذلك فانها

(3) شرفخان البديسي، شرفنامه، ترجمة: محمد جميل روزباني، مؤسسة موكرياني، (اربيل: 2001).

(4) تاريخ كرد وكردستان، ضاٹ دووم، (ب.ج: 1351 هـ ش) ج1، ص104.

(5) خليل الله خليلي، هرات تاريخها وآثارها، (ب.ج: ب.ت)، ص34.

(6) مارسل بريون، بيرقو قرية كاني تيمور لنگ، وقرطيران: حمة قى حمة سة عيد، ستردم، (سليمانى: 1999)، ل64. وكان هناك حوار درامي بين تيمور لنگ وكوردي من خراسان. ينظر نصها في: المصدر نفسه.

(7) نقلاً عن: عتبدولا قتر دغاى، راطويزانى كورد لة ميذوو دا، ستردم، (سليمانى: 2004)، ل42.

(1) علي اكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجى ايران در عهد اسماعيل صفوى، (تهران: 1375 هـ ش)، ص33-63. ويعد مقتل شيبك خان عين الشاه اسماعيل الصفوي احد امراء الكورد وهو بيرام بك قهرمانلو حاكماً على بلخ وهرات، وقتل عام 1511 على يد الاوزبك ينظر: سيد على ميرنيا، ايل ها وطائفه هاى كرد در ايران، نسل دانش، (تهران: 1368 هـ ش)، ص49.

(2) منوشر نارسادوست، شاه طهماسب اول، نشر انتشار، (تهران: 1381 هـ ش)، ص59-93؛ راجر سيورى، ايران عصر صفوى، ترجمه: كامبيز عزيزى، (تهران: 1379 هـ ش)، ص48-55.

(3) للتفاصيل ينظر: سعدى عثمان حسين، كوردستان والدولة العثمانية 1514-1851، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة صلاح الدين، ص29 وما تليها من الصفحات.

عمدت الى ابعادهم الى خراسان للتخلص من هذه التمردات من جهة والاستفادة من طاقاتهم القتالية للوقوف بوجه الاوزبك من جهة اخرى (4).

يشير اغلب الباحثين الى ان هجرة الكورد الى خراسان قد بدأت منذ عهد الشاه عباس الكبير (1588-1629)، الا ان هناك اشارات من مصادر اخرى تشير الى تهجير بعض القبائل الكوردية الى خراسان خلال عهد الشاه طهماسب الصفوي، فقد اورد البديسي في كتابه ان الشاه طهماسب ابعده الامير خليل بك امير امارة سياه منصور الكوردية الى خراسان وذلك في حدود عام 1552 بعد ان قام رجاله باعمال قطع الطرق وسلب التجار " حيث اصبح وجودهم في تلك المنطقة يبعث على تشريد الناس" (1). وفي مكان اخر يشير البديسي الى حملة جردها الشاه طهماسب ضد قبيلة (ضنطني) الكوردية والتي اسفرت عن ارقام 500 شخص من وجهائهم على السفر الى الهند، وعند وصولهم الى مدينة هرات رحب بهم حاكم المدينة قوزاق خان تكلو، وذلك لوجود خلاف بينه وبين الشاه طهماسب، فاقطعهم منطقة غرجستان الواقعة بين هرات وكابل، وقد اشتهر زعيم هذه القبيلة الامير بوداق بك في الحرب ضد الاوزبك، وقد اهتم به الشاه طهماسب- فيما بعد- واقطعه منطقة في خراسان، وتمكن هذا الامير في 1001هـ/1592م من صد القوات الاوزبكية بقيادة عبدالمؤمن خان البالغ عددها حسب رواية الشرفنامه 30 الف مقاتلاً (2).

ان الترحيل المنظم وعلى نطاق واسع للكورد من كردستان الى خراسان بدأ في عهد الشاه عباس الصفوي، ففي عام 1011هـ/1602م قام الاخير بترحيل الاف العوائل الكوردية من مناطق جنوب شرق الأناضول والقفقاس وأذربيجان وأسكنهم في مدن قوجان وشيروان وبنجورد وسبزوار ودرطز الحالية، وقامت بعض هذه القبائل بالذهاب الى مناطق تركمانستان وسكنت مدينة عشق آباد في حين توغلت قبائل اخرى في عمق الاراضي الافغانية وسكنت مدينة هرات ومدن اخرى افغانية (3). وقام الشاه عباس بترحيل قبائل اخرى الى مناطق مازندران وكيلان منها قبيلة ضنطني وغيثوند وضمشترك و باجلان و جليلوند ورة شوةند وكاكاوند وكرماني وبهتوني (4).

وقد استمرت عملية ترحيل الكورد الى خراسان بعد انتهاء الحكم الصفوي، فخلال عهد الافشاريين قام نادر شاه (1736-1747) بترحيل قبائل كوردية الى خراسان واسكنهم في الجبال الواقعة شمال قوجان وشيروان (1)، وكان الكورد يرافقون نادرشاه في حملاته نحو افغانستان والهند، فقد اشارت مستورة كردستاني: ان الامير خان احمد خان وعدد آخر من " الاعاظم ووجوه كردستان" مع 500 فارس شاركوا نادرشاه في حملته نحو الهند عام 1737 (2)، وقتل نادرشاه في

(4) كةليمولاي تةوحدوي، كوضى ميذوويي كورد بو خراسان، وقرطيران: عةدنان بقرزنجي، (سليمانى: 2005)، بةشى يةكتم، ل 39-40؛ كةمال مةزهةر ئةحمدة، ضةند لائةرقيةك لة ميذووي طةلى كورد، دةرطاي موكراني، (هةولير: 2001)، ل 446.

(1) شرفنامه، ص 552-553

(2) المصدر نفسه، ص 557-558

(3) ئةحمدة، المصدر السابق، ص 446، ينظر ايضاً: عبدالرضا هوشنط مةدوي، تاريخ روابط خارجي ايران، انتشارات امير كبير، (تهران: 1381 هـ ش)، ص 63.

(4) سيد على طلريز، مينودر يا باب الجنة قزوين، انتشارات طه، (تهران: 1381 هـ ش)، ص 894-895. للمزيد حول هذه القبائل ينظر: ميرنيا، المصدر السابق، ص 21-45.

Mehrdad Izady, The kurds.(Washington:1992),p76.

(1) ميرنيا، المصدر السابق، ص 51؛ مردوخ، المصدر السابق، ص 101.

(2) ميذووي نةردةلان، وقرطيراني: هةذار، (هةولير: 2002)، ل 115.

العام 1747 ، أثناء حملته التي قادها لآخاماد حركة قامت بها قبيلتي ضمشطرزك وقررةضورلو الكورديتين في قوجان،⁽³⁾ بدأت عدد من القبائل الكوردية في خراسان بالرجوع الى مواطنهم الاصلية في كردستان، من ضمنها اسرة زند التي ينحدر منها كريم خان زند مؤسس الدولة الزندية(1753-1794) حيث عاشت هذه الاسرة لسنين عديدة في كنف قبيلة جيشلو الكوردية في مدينة درطز⁽⁴⁾. ويشكل هؤلاء الكورد المرشحين في وقتنا الحاضر منطقة منفصلة كبيرة للكورد خارج كردستان، وقد ازدادت اعدادهم وتوسع انتشارهم الى حد ان بعض المناطق والمدن الواقعة في شمال شرق ايران قد أخذت طابعا كوردياً حتى ان بعض المؤرخين أخذوا يسمون هذه المناطق التي تشمل مدن ونواحي قوجان وشيروان وبنجورد ودرکز وضناران بـ(كوردستان خراسان)⁽⁵⁾ يتوزع كورد خراسان او الـ(كرمانج)، وهذه هي التسمية الشائعة لهم في خراسان، على عدد كبير من القبائل والعشائر والبطون لا يمكن حصرها هنا، الا ان هناك عدد من القبائل الكبيرة التي شكلت البنية الاساسية للسكان الكورد في خراسان، وتعتبر قبيلة ضمشطرزك القبيلة الرئيسية في خراسان التي تتفرع الى مجموعة من الفروع الكبيرة منها زعفرانلو – لاحظ لاحقة (لو)التركمانية- التي تقطن مدن قوجان وشيروان ومشهد وباجيكران ودرکز⁽¹⁾. وتعتبر اكبر قبيلة كوردية في خراسان ويعد زعيم هذه القبيلة المستقر في مدينة قوجان زعيم جميع الكورد في خراسان. وقد فريزر في النصف الاول من القرن التاسع عشر عددهم حوالي 25000 الى 30000 اسرة⁽²⁾. وتمكنت هذه القبيلة خلال فترة الصفويين من تشكيل امارة وراثية استمرت حتى عهد فتح علي شاه القاجاري عندما قضى عليها ولي العهد القاجاري عباس ميرزا عام 1832⁽³⁾.

ومن القبائل الاخرى المتفرعة من ضمشطرزك، كيكانلو بفرعيها الرئيسيين زيلان لو وملان لو وقبيلة شادلو وقررةضورلو الكبيرتين اللتين تنتشران في أرجاء خراسان ويشكل اساسي في مدينة بنجورد وتعود أصول هذه القبائل الى امارة ضمشطرزك الكوردية الواقعة على مقربة من بحيرة (وان)

(3) محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان،- ترجمة: محمد علي عوني، (بغداد: 1961)، ج1، ص216. للتفصيل حول هذا الموضوع ينظر: تنويع حودي، ، المصدر السابق، صص 151-160.

(4) محمد هاشم آصف (رستم الحكما)، رستم التواريخ، انتشارات فردوس، (تهران: 1379)، صص 228؛

Izady, op.cit, p 54

(5) فقد ذكر محمد حسن خان صنيع الدولة في كتابه(مطلع الشمس) ان السهول الذي تقطنها قبيلة عمارلو في خراسان يسمى بـ(بلاد عمارلو وكوردستان). نقلاً عن : ميرنيا، المصدر السابق، صص 52. ينظر ايضاً: نعمة، المصدر السابق، صص 446.

(1) ميرنيا، المصدر السابق، صص 50. ينظر الترجمة الكوردية لهذا الكتاب المسمى: خيل وتايفة كاني عشايري كوردي نيران، وقرطيران: شةوكتة شيخ يةزدين، (ثيرمام: 1995)، صص 35؛ ني جي نار، هنري فيلد، هوزة كاني كورد، وقرطيران: حسين جاف، (بةغداد: ب.ب.م) ، صص 16-17؛

Izady, op.cit, p

(2) نقلاً عن: ليرخ، دراسات حول الاكراد الخالديين الشماليين واسلافهم، ترجمة: عبيدي حاجي، (دم: 1992)، صص 84.

(3) للمزيد حول امارة قوجان ينظر: تنويع حودي، المصدر السابق، صص 62 وما تليها من الصفحات؛ صديق صفي زاده بوره كه بي، تاريخ كرد وكردستان، نشر آتية، (تهران: 1378 هـ ش)، صص 688-690، زكي، تاريخ الدول والامارات الكوردية في العهد الاسلامي، صص 431.

والتي ذكرها البدليسي في كتابه⁽⁴⁾. رحلت عام 1007هـ/1598م واسكنت أول الامر في سهل (وارمين) على مقربة من مدينة طهران، وتم ترحيلها الى خراسان عام 1011هـ/1602⁽⁵⁾. وهناك قبائل رحلها نادر شاه الى خراسان، ففي عام 1732 رحل قبيلة زنكنة وعمارلو الى شيروان وقوجان، وهناك قبائل اخرى مثل بالكانلو تويكانلو ورثوانلو ورودكانلو وزيدانلو وشرانلو تسكن مدينة قوجان وشيخانلو في درطز وطوران وضنطنى في نيسابور وقبائل اخرى تسكن مدينة مشهد مركز اقليم خراسان⁽¹⁾.

يسكن غالبية كورد خراسان في المدن والقرى وهناك قبائل مترحلة وشبه مترحلة في المناطق الشمالية من خراسان وهي مستمرة في الترحال حتى في وقتنا الحاضر⁽²⁾.

أما بالنسبة الى اللغة و التقاليد الاجتماعية، فإن الاكثرية الغالبة من كورد خراسان يتكلمون الكوردية باللهجة الكرمانجية الشمالية⁽³⁾، الا أن لغتهم تعرضت الى التحوير والتغيرات أثر اختلاطهم بالفرس والتركماني والافغان حتى صارت لغتهم مزيجاً من هذه اللغات الى حد ذكر هنري فيلد H.Field ان الكورد في خراسان يشبهون اللور اكثر من الكورد في شرق كوردستان⁽⁴⁾، اما المستشرق الروسي بيريزين فقد قسم اللغة الكوردية الى اللهجتين الشرقية والغربية، تتحدث بالاولى العشائر الكوردية القاطنة في خراسان وهي شادلو في بجنورد وزعفرانلو وقرهضورلو في صامغان، وقام بيريزين بدراسة هذه اللهجات في طهران اثر قدوم مجموعة من كورد خراسان الى هذه المدينة⁽⁵⁾.

ان التغيير في حياة الكورد لا يقتصر على لغتهم فحسب، انما حصلت في مذهبهم ايضاً، فان تعرضهم لقرون مضت لمجتمع خراسان الشيعي وكونهم على مقربة من مدينة مشهد الشيعية المقدسة جعلت من المجتمع الكوردي هناك خليطاً من الشيعة والسنة ويشكل الشيعة الاغلبية الساحقة منهم وقلة من السنة (الاحناف)، اذ تشكل الشيعة (الاثني عشرية) نسبة 68% من مجموع السكان الكورد في خراسان اضافة الى 4% من العلويين و2% من (العلوي اللهي- يارسان)، اما السنة فيشكلون نسبة 17% من مجموع الكورد في خراسان⁽¹⁾.

لا يعرف بالتحديد عدد السكان الكورد في خراسان، وكل ما هو متوفر هي مجموعة من الارقام التقريبية، فقد ذكر ميرزا محمد حسن خان مستوفي في كتابه (آمار مالى ونظامى ايران- الاحصاء

(4) المصدر السابق، ص327.

(5) ميرنيا، المصدر السابق، ص71؛ سيد محمد حسيني شريف، مقدمه اى بر قالى كرد خراسان، بحث منشور على

الموقع: www.rugart.org

(1) للمزيد حول هذه القبائل ينظر: ميرنيا، المصدر السابق، ص51-86. وفي الترجمة الكوردية: ص35-57. ينظر ايضاً: ادارة جغرافياى ارتش، فرهنط جغرافياى قوضان، جلد20، (تهران: 1365 هـ ش). صدر هذا الكتاب عن الادارة الجغرافية في القوات المسلحة الايرانية ويحتوي على اسماء جميع النواحي والبلدات والقرى التابعة لمدينة قوجان مع اعداد سكانها وهوياتهم القومية والمذهبية ونبذة عن حياتهم الاجتماعية.

(2) ميرنيا، المصدر السابق، ص87-89.

(3) صديق صفى زاده بوره كه يى، فرهنط ماد، مؤسسسه عطائى، (تهران: 1361 هـ ش)، ص42.

Izady, op. cit p75

(4) ناز، فيلد، المصدر السابق، ص16.

(5) نقلاً عن: ليرخ، المصدر السابق، ص30-31.

(1) ليرخ، المصدر السابق، ص40. وللزيد حول التوزيع الجغرافي للمذاهب في قوجان ينظر: ادارة جغرافياى ارتش، المصدر السابق. ويتبين من خلال هذا الكتاب ان الكورد في قوجان، وهي مركز ثقلهم، قد غيروا مذهبهم كلياً، حيث لا وجود لمجموعة كوردية - استناداً على هذا الكتاب - تتمذهب بمذهب السنة.

المالي والعسكري لايران) والذي الفه عام 1128هـ/1715 ، ان الكورد في خراسان موزعين على 19 " لك" والـ(لك) كلمة فارسية تطلق على مجموعة مكونة من 100 الف شخص ، على هذا الاساس فان عدد الكورد في خراسان هو مليون وتسعمائة الف نسمة⁽²⁾. لكن يتبين لنا مدى المبالغة في هذا الرقم اذا عرفنا ان عدد الكورد في خراسان في وقتنا الحالي لايرتقي الى هذا العدد. وجاء في اول احصاء سكاني بعد الثورة المشروطية في ايران(1911-1906) ان عدد سكان العشائر الكوردية في خراسان هي 43350 نسمة⁽³⁾، الا ان هذا الاحصاء لم يشمل الا عدد قليل من العشائر الكوردية، لذلك يعوزه الدقة الى حد كبير، خاصةً اذا عرفنا ان الكورد في خراسان موزعين على 1600 قرية فضلاً عن القبائل المترحلة وشبه المترحلة والتي تقدر بحوالي 5000 اسرة⁽⁴⁾، اما الاحصاء الاخير فقد اقتصر على الاحياء الكوردية في عدد من المدن فقط.

(2) تقيودى، المصدر السابق، ص43؛ شريف، المصدر السابق.

Izady, op.cit, p54

(3) ميرنيا، المصدر السابق، ص90.

(4) قنر داغى، المصدر السابق، ص41؛ خالد صالح، كورد ل خوراسان، مجلة سه رهلدان، عدد8، (دهوك: ايلول 1993)، ص62.